مجلة
دراسات إنسانية

تصدرعن جامعة مستغانم
ISSN: 2437-119X

العـدد: 03 (2017)، ص ص37- 45

السلوك العنيف كمظهر للتعبير لدى الشباب الجزائري، دلالات نفس - اجتماعية

خالدي أحمد*

قسم علم النفس- كلية العلوم الاجتماعية - جامعة مستغانم، (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2016/08/12 تاريخ النشر: 2017/12/20

الملخص:

كثيرا ما يوصف الجزائريون بأنهم عنيفون وأنهم يلجأون كثيرا للعنف إما لقضاء حاجاتهم أو للتعبير عن غضبهم مستخدمين في ذلك سلوكا عنيفا سواء كان هذا العنف سلوك مادي من خلال اللجوء لاستخدام القوة أو عنف معنوي باستعمال الكلمات النابية والحركات غير المهذبة. كثيرا من المختصين يرجعون الأسباب إلى الظروف التي مر ويمر بها المجتمع الجزائري. حتى أن الملاحظ يكاد يجزم أن السلوك العنيف أصبح سمة للجزائريين خصوصا الشباب الذين يشكلون أغلبية السكان وهم أمل كل أمة.

فلماذا أصبحت هذه الظاهرة تسم شبابنا رغم أننا نعيش في بلد فيه كل مظاهر الحضارة والتقدم (تعليم- لباس أخر صيحة - سيارات فارهة – إنترنيت - حريات متعددة...) أو لماذا كل هذا العنف الذي أصبح ظاهرة مميزة لشبابنا (الحرقة- الأدمان – حرق الذات- الاعتداء على الناس- خدش الحياء العام ...).

الكلمات المفتاحية: العنف؛ دلالة نفس-اجتماعية؛ الشباب.

Abstract:

Algerians are often described as violent and that they often resort to violence, either to fulfill their needs or to express their anger, using violent behavior, whether this violence is physical behavior through the use of force or moral violence using profanity and impolite movements. Many specialists attribute the reasons to the circumstances that Algerian society has gone through. Even the observer is almost certain that violent behavior has become a feature of Algerians, especially the youth, who make up the majority of the population and are the hope of every nation.

* **خالدي أحمد**، أستاذ علم النفس- كلية العلوم الاجتماعية - جامعة مستغانم (الجزائر)
khaldi.ahmed20@yahoo.fr

Why did this phenomenon become so characteristic of our youth even though we live in a country where all the manifestations of civilization and progress (education - latest fashion clothes - luxury cars - the Internet - multiple freedoms...) or why all this violence that has become a distinct phenomenon for our youth (heartburn - addiction - burning) Self - assault on people - outrage public modesty...).

Keywords: violence; psychosocial connotation; Young.

1. مقدمة:

كثيرة هي الأشكال التعبيرية لدى شبابنا اليوم، فهي متنوعة ومتعددة تعكس ثقافة معينة وحالة نفسية واجتماعية خاصة، ومثل ذلك اللباس - تسريحة الشعر- الوشم – العنف بمختلف أشكاله. ولئن كانت الأشكال التعبيرية تدرس كثقافة وممارسات شبابية، فإن العنف كشكل من أشكال التعبير لدى الشباب لم يهتم به كثيرا، إلا من خلال العنف المادي (اللجوء إلى استخدام السلاح بمختلف أنواعه أو العمل الإرهابي) حيث كان الاهتمام سياسيا وقانونيا، غير أن الأشكال الأخرى للعنف خصوصا المعنوي والرمزي منه لم يتم الاهتمام به كما ينبغي .ولهذا نحاول التطرق لموضوع العنف عند الشباب باعتباره سلوكا يعكس شكلا من أشكال التعبير المتعددة ولكن ليس من منظور سوسيو- ثقافي وإنما من منظور سيكو- سوسيولوجي، خصوصا وأن ظاهرة العنف في مجتمعنا عموما ولدى الشباب خصوصا أخذت أبعادا أصبحت تهدد انسجام المجتمع وأمنه .ما يدعوا إلى تسليط الضوء على هذه الظاهرة بالفهم والتحليل علها تكون خطوة في اتجاه التكفل بهذه الظاهرة وتقديم العلاج لها .

2. ما هو العنف؟

العنف باعتباره سلوكا صادرا عن الإنسان ،تشترك في الاهتمام به وبالتالي تعريفه عدة تيارات تعكس مختلف الهيئات والمؤسسات، حيث نجد المنظور القانوني للعنف والمنظور السياسي، كما نجد المنظور السوسيولوجي والسيكولوجي إلى جانب المنظور

السوسيو ثقافي، كل منظور ينظر للعنف من زاويته وتعامله معه .غير أننا وبالنظر لخصوصية تناولنا للعنف من المنظور السيكو-سوسيولوجي نقدم التعاريف التالية للعنف:

حيث يعرفه قاموس علم الاجتماع : " تعبير صادر عن القوة التي تمارس لإجبار فرد أو جماعة أخرى، ويعبر العنف عن القوة حين تتخذ أسلوبا فيزيقيا (ضرب أو حبس أو إعدام)، أو يأخذ صورة الضغط الاجتماعي أو تعتمد مشروعيته على اعتراف المجتمع به. (بوقطاية 2003: 27)، كما يعرفه **باندورا** على أنه: "سلوك قاسي ومدمر اتفق اجتماعيا على أنه سلوك عدواني"(بوقطاية 2003: 28)، ولعل **اسنارد** يوضح أكثر مفهوم العنف بقوله :" العنف كغيره من أشكال السلوك هو نتاج مأزق علائقي بحيث يصيب التدمير ذات الشخص في نفس الوقت الذي ينصب فيه على الآخر لإبادته، فتشكل العدوانية طريقة معينة للدخول في علاقة مع الآخر" (نوار، 2003: 182).

وانطلاقا من هذه التعاريف نستنتج أن العنف سلوك صادر عن الإنسان يمتاز بقوته التدميرية سواء اتجاه ذات الإنسان أو اتجاه الآخر. فالعنف في هذه الحالة ليس مجرد سلوك اعتباطي بل هو نتيجة (رد فعل لمثير ما) - للظروف الاجتماعية جورا في تحديد السلوك – يؤكد مصمودي (2003: 45): "البيئة تلعب دورا في تزويد الفرد بآليات التكيف مع محيطه". وهو نفس الرأي الذي يتوافق معه حجازي حيث أورد كل من (قريسي وأبي مولود، 2003 :428) هذا القول له : "أن العنف لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع ومع الآخرين حيث يحس المرء بالعجز عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادية، وحين تترسخ القناعة لديه بالفشل في إقناعهم بالاعتراف بكيانه وقيمه". فالعنف إذن هو لغة ولكنها غير منطوقة ، لأنه تعبير أو إفصاح عما يعانيه من يلجأ له، فهو لغة رمزية، حيث "أصبح نوعا من الاتصال الداخلي والخارجي، يستعمل كوسيلة للدفاع والتعبير عن الفوارق العنصرية – الاقتصادية – الاجتماعية – الثقافية – السياسية والدينية" (مرداسي، 2008: 15) .

3. أنواع العنف:

تتفق كل الدراسات أن العنف نوعان مادي ومعنوي. وكل نوع يتضمن عدة صور للعنف ، فالعنف المادي يتجلى في عنف مباشر ضد الذات (الانتحار) أو عنف ضد الآخر (استعمال السلاح أو القوة لتحقيق مطلب أو حاجة) كما أن العنف المعنوي له عدة صور نذكر منها العنف الرمزي، الذي هو سلوك يلحق الأذى بالآخر في الغالب بطريقة غير مباشرة أو ضد الفرد نفسه ، حيث تعرفه دائرة معارف علم النفس: "استجابة انفعالية ينتج عنها سلوك تدميري موجه ضد الأفراد أو البيئة أو اتجاه الفرد نفسه ، نتيجة الإحباطات أو بدافع الكره الشديد نحو الآخرين أو نحو الذات". (جابر، 2003: 302) ومن أشكال العنف الرمزي عندنا نجد الحرقة – الادمانات – حرق الذات.

4. أسباب العنف:

يرى زايد (1998: 526) أن: "العنف يرتبط بنظم الطاقة في الشخصية، يبدأ من المستوى البيولوجي، إلا أنه يتطور في ما بعد ليجد نفسه صيغ تعبيرية متنوعة بتنوع الثقافات". فالعنف سلوك إنساني كامن، يمكن استثارته في حالة وجود موانع في الوسط الاجتماعي (البيئة) التي تعيق عملية التوافق. والطاقة في الشخصية هي " قوة وقدرة تمكن من انجاز الأعمال والأشياء، وهي قوة متاحة للعمل أو الاستخدام في العمل". كما يؤكد زايد (ب ت، ص 520)، غير أن هذه القوة إذا لم تستخدم استخداما طبيعيا ولم يتم استثمارها اجتماعيا قد ينتج عن ذلك تأزم علائقي وفشل في التواصل والحوار (كالبطالة مثلا) "مما يولد إحساسا بالظلم والاضطهاد، وشعور بالغضب الشديد ، فإنه يكون بمنزلة رد فعل مقاوم طبيعي وضروري، يأخذ مشروعيته من حق الوجود أو استرجاع الحقوق المهضومة، ودفع الظلم أو الضرر (عنف دفاعي)" (فرحاني، 2003: 147).

5. لماذا يتبنى الشباب هذا السلوك ؟

يرى علماء النفس النمو أن الإنسان في مرحة الشباب يوجد في مرحة نمائية تتميز بخصوصياتها النفس – اجتماعية، حيث تتجلى هذه الخصوصية كونها مرحلة اكتساب الهوية حسب إركسون: "مرحلة اكتساب الهوية أو هوية الأنا"، ويؤكد المختصون أن هذه المرحلة هي بعد أساسي من أبعاد الشخصية وأن هذا البعد له طرفان ايجابي وسلبي (معمرية وماحي، 2003: 335).

- فالطرف الايجابي لهذا البعد هو تمكن الشاب من تحديد هويته أو تحديد من يكون .
- أما الطرف السلبي فهو عدم التمكن من تحديد الهوية وبالتالي تشتت الدور أو حدوث غموض في الهوية، حيث يسأل الشاب (من هو؟ وكيف سيكون؟).

في هذه الحالة يرى المختصون أن الشاب يعيش صراعا بين تحديد الهوية وغموضها.

6. كيف ينعكس هذا الصراع على الشاب:

هذا الصراع الذي يعيشه الشاب ، والمتعلق بتحديد هوية الأنا أو غموضها يتجسد في عدم معرفة الذات بوضوح أو عدم معرفة الشاب لنفسه في الوقت الحاضر أو ما سيكون عليه في المستقبل . نفسيا يشعر الشاب بالضياع والتبعية والجهل بما يجب أن يفعله ويؤمن به . وهو ما تشير إليه هورني التي ترى أن: "الإنسان في مسعاه لإشباع حاجاته ضمن علاقاته الإنسانية لا يخرج عن الاتجاهات الثلاثة في تحركه اتجاه الآخرين، فهو إما :

- الاتجاه الأول: يتحرك نحوهم تدفعه الحاجة إلى الحب والانتماء.
- الاتجاه الثاني: أو يتحرك بعيدا عنهم تدفعه الحاجة إلى الاستقلال والاكتفاء الذاتي.
- الاتجاه الثالث: أو يتحرك ضدهم تدفعه الحاجة إلى القوة والسيطرة" (معمرية وماحي، 2003: 332).

وإذا قمنا بإسقاط ما تقوله هورني على معاش شبابنا النفسي والاجتماعي نجد أن الشاب الجزائري إذا سئل ماذا يريد فإنه يجيب دائما أريد منصب شغل وسكن لأتمكن من

الزواج وتكوين أسرة لكي أحس بذاتي وكياني وهذا ما يمثل الاتجاه الأول . وأما ما يمثل الاتجاه الثاني فهو اللجوء إلى الحرقة أو الإدمان على المخدرات والمسكرات لما لها من فعل سحري بالشعور بنسيان الهموم وهذا يعكس سلوكا عدوانيا رمزيا موجه نحو الذات خصوصا ونحو الآخر لجلب الانتباه .في حين أن الاتجاه الثالث يتمثل في السلوك العدواني الموجه نحو الآخر (المجتمع، السلطة) مثل الانتحار أو حرق الذات. وترى هورني أن هذا السلوك العدواني: "السلوك العدواني هو محاولة الإنسان حماية أمنه" (معمرية وماحي، 2003: 333).

7. العامل المؤدي لهذا الصراع عند الشباب:

يؤكد علماء النفس الاجتماعيون أن الصراع الحاصل عند الشباب في مرحلة تكوين الهوية بين إثبات الأنا وتشتت الدور هو نتيجة الإحباط الذي يصيب الشاب، هذا الإحباط هو حالة من خيبة الأمل والحرمان والشعور بالمرارة والفشل ناجم عن إعاقة الشاب من تحقيق هدف معين. فإذا رجعنا إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الجزائر لوجدناها أوضاعا متدهورة بل تزداد تدهورا من يوم لآخر، ما انعكس على حياة الشاب في شكل بطالة وحقرة وتهميش وقهر، حيث الشعور أمام هذه الأوضاع بامتهان الكرامة حيث يؤكد معمرية وماحي (2003، ص 335): "عندما تكون الفجوة كبيرة بين مستويات الطموح والرغبة في التفوق وبين الإمكانات المتواضعة لتحقيق الذات في هذا الوضع يزيد من حجم التذمر والغضب والعداء، مما يجعلهم أكثر عرضة للاستجابة السريعة للمنبهات المثيرة للعدوان". وهذا ما يتجسد نتيجة الإحباط الذي هو إعاقة تحقيق أو إشباع الهدف التي تؤدي إلى استثارة دافع الهجوم على الذين تسببوا في إعاقة تحقيق الهدف وإلحاق الأذى بهم ، حيث موانع الوسط الاجتماعي من بطالة وحقرة وتهميش وانسداد الأفق تعيق عملية التوافق لدى الشاب الذي يبدأ كرد فعل سلوك غير متوافق (العنف) مع المعايير الاجتماعية والقيم والثقافة.

8. لماذا العنف شكل من أشكال التعبير؟

السلوك العنيف كأنه أصبح وسيلة اتصال مع المحيط (الآخر)، هذا المحيط الذي أصبح حاجزا أو مانعا من تحقيق أو إشباع الحاجة إلى إثبات الذات وبالتالي الشعور بها من خلال الحرمان (حرمان من العمل – حرمان من الحقوق – حرمان من الإحساس بالآدمية) "الحرمان يصنف ضمن سلسلة غير متناهية من حالات الفقدان والرفض والإهمال والصدمة " حسب (مرداسي، 2008) الذي يصور كيف يتجسد هذا الحرمان عند الشاب خصوصا على المستوى العقلي أو المخيال "الإحساس بالفراغ وعدم الجدوى". ولهذا يصف مرداسي بعض السلوكات العنيفة خصوصا الرمزية أو المتجه نحو الذات على أنها: "الشباب عندما يحرقون أو يتعاطون المخدرات وينتحرون أو يحرقون أنفسهم، هم يصارعون ضد الإحساس بهاجس الموت المفروض من طرف المجتمع، هم في حالة رفض لرموزه المختلفة وقوانينه وحتى أجهزة الرقابة والضغط ." فالسلوك العنيف الذي نشاهده عند شبابنا والذي أصبح يفرض نفسه بحكم الواقع (السرقات والاعتداءات على المارة والسكان – التعامل مع البيئة – عملية الانتحار وحرق الذات والحرقة) كأنه آلية دفاعية تتمثل في التعويض حسب أدلر "العنف هو بمثابة استجابة تعويضية عن الإحساس بالنقص أو الضعف" (مصمودي، 2003: 42)، فالفشل الدراسي الذي يطال حوالي 500 ألف متمدرس سنويا هو نوع من النقص والضعف، والبطالة هي نوع من التهميش والنقص، والحقرة والحرمان من الحق في العمل والسكن وحرية التعبير وحقوق الإنسان هي نوع من امتهان الكرامة والإذلال كلها تمثل موانع من الوسط الاجتماعي للشباب، وكلها تؤدي إلى الإحباط الناتج عن الحرمان من إشباع حاجات تعد أساسية وضرورية للتوافق لدى الشباب، خصوصا وأن مرحلة الشباب هي مرحلة القوة عند الإنسان ، هذه القوة إذا لم يتم توجيهها والتحكم فيها للاستفادة منها من خلال العمل على إشباع حاجات الشباب الأساسية لكي تكون عاملا دافعا في التوافق والبناء الاجتماعي. وإما في حالة العكس فإنها قد تتحول إلى قوة

تدميرية (عنف) تتجه نحو ذات الشاب نفسه ونحو محيطه، ولعل كثرة الاحباطات في مجتمعنا حولت سلوك العنف عند شبابنا إلى صفة ملازمة يمكننا اعتبارها شكل للتعبير، خصوصا وأننا كجزائريين نوصف بأننا عنيفون ونلجأ للنرفزة دائما، وهو سلوك وإن كان نسبيا يحتم على المشتغلين في حقل العوم الاجتماعية العمل على إزالته من صورة الجزائري كصفة ملازمة مميزة .

المراجع:

- بوقطاية، مراد. (2003). التمييز بين مفهوم العنف ومفهوم العدوان، الملتقي الدولي الأول حول العنف والمجتمع – جامعة بسكرة .

- جابر، نصر الدين. (2003). العنف الرمزي، الملتقي الدولي الأول حول العنف والمجتمع – جامعة بسكرة .

- زايد، مصطفى. (1998). البعد الثقافي للعنف في المجتمع – علم النفس وقضايا المجتمع الحديث – منشورات جامعة الجزائر.

- فرحاتي، العربي. (2003). العنف وجه آخر للحداثة، الملتقي الدولي الأول حول العنف والمجتمع – جامعة بسكرة.

- قريسي، عبد الكريم وأبي مولود، عبد الفتاح. (2003). العنف في المؤسسات التربوية، الملتقي الدولي الأول حول العنف والمجتمع – جامعة بسكرة .

- مرداسي، مراد. (2008). ملف حول العنف، الخبر الأسبوعي 21/ 06 / 2008

- مصمودي، زين الدين. (2003). مدخل نقدي لتفسير ظاهرة العنف ، الملتقي الدولي الأول حول العنف والمجتمع – جامعة بسكرة .

- معمرية، بشير وماحي، إبراهيم. (2003). أبعاد السلوك العدوان ، الملتقي الدولي الأول حول العنف والمجتمع – جامعة بسكرة .

- نوار، الطيب. (2003). تجربة الشرطة الجزائرية في مواجهة أعمال العنف، الملتقي الدولي الأول حول العنف والمجتمع – جامعة بسكرة.